مظاهر التمرد في شعر دعبل الخزاعي

م. د. نعيم حامد عبد السادة
مديرية تربية بابل

الملخص:-

يتناول البحث شعر دعبل الخزاعي كرمز للتمرد في العصر العباسي، حيث يُبرز معاناة الشعب وألمهم من خلال نقده للسلطات الفاسدة والمجتمع الذي يعاني من المظالم. تجلت مظاهر التمرد عند دعبل في ثلاثة أشكال: التمرد السياسي ضد الحكام، والتمرد الاجتماعي تجاه القيم السائدة، والتمرد الفني الذي يكسر الأشكال التقليدية. تتجلى أفكاره في قصائد تعبيرية تسلط الضوء على الفجوات بين الواقع والطموحات. يمثل دعبل صوت الطبقات المهمشة، ويطرح أسئلة فكرية حول الهوية والسلطة، مما يجعله رمزًا للرفض والاحتجاج المستمر عبر الأجيال.

الكلمات المفتاحية: مظاهر التمرد، الثورة شعر، دعبل الخزاعي.

Manifestations of rebellion in the poetry of Dabal Al-Khuzai

Lecturer Dr. Naeem Hamed Abdel Sada
Babylon Education Directorate

Abstract:-

The research examines the poetry of Dabal Al-Khuzai as a symbol of rebellion in the Abbasid era, as it highlights the suffering and pain of the people through his criticism of corrupt authorities and a society suffering from injustices. The manifestations of rebellion, according to Dabal, were manifested in three forms: political rebellion against the rulers, social rebellion against prevailing values, and artistic rebellion that breaks traditional forms. His ideas are expressed in expressive poems that highlight the gaps between reality and aspirations. Dabal represents the voice of marginalized classes and poses intellectual questions about identity and power, making him a symbol of rejection and ongoing protest across generations.

Keywords: *manifestations of rebellion, revolution poetry, Da'bal Al-Khuza'i.*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:ـ

تناول البحث شعر التمرد عند دِعبل الخزاعي وعالج جوانب التمرد وأسبابه وبواعثه وتمظهراته في شعر دِعبل، كذلك تناول بالتحليل أمثلة هذا التمرد من الشعر بالتحليل الفني، استخدم الشاعر هذا الأسلوب؛ ليدافع به عن عقيدته و مبادئه و ما يؤمن به دينيًا مذهبيًا سياسيًا، ولما كانت السلطة تبادل الشاعر العداء وتكميم الافواه فلم يملك إلّا شعره ليعبر به عن ما يريد، فهو يراه الوسيلة الأنجع لإيصال صوت التمرد داخله خصوصا و داخل جماعته التي تشاركه الرأي.

تلعب البيئة التي يعيش فيها الشاعر دوراً محوريًا في نتاج الشاعر الأدبي، فالشاعر ابن بيئته و نتاج عواملها التي تحيط به، فإذا كان متوافقًا معها جاء نتاجه متوافقًا و منسجمًا معها والعكس يقدِّم ظاهرتي التمرد والرفض.

فللشاعر دورٌ بارزٌ في التأثير على المشهد السياسيّ والاجتماعيّ والثوريّ في المجتمع الذي يعيش فيه، فهو كأداة إعلامية وحيدة ومؤثرة أخذت على عاتقها أمانة نقل الحقائق والوقائع للمجتمع والبيئة التي يعيش فيها، يجد التمرد عنه إذا خالفه و عاش فيه باضطهاد وظلم واجبًا ورفع الصوت بما يكشف ذلك محتومًا.

وفي مجتمع مضطرب سياسيًا كالمجتمع الإسلاميّ في العصر العباسيّ الذي كانت تعصف به رياح الفتن والانقلابات وتتعدَّد فيه المذاهب والآراء والطوائف تبرز أهمية الشاعر كوسيلة إعلامية توعوية ثوريَّة ترسخ المبدأ والمذهب والآراء التي تتبناها جماعته وتوعي الجمهور بما تريد. كما أنَّ جدليات المذاهب والعقائد كانت سببًا رئيسًا في ظهور شعر التمرد للمخالفين والرد عليهم.

ونستطيع القول: إنَّ التمرد والرفض من صفات الأديب عامة والشاعر خاصة، لاسيما إذا كان ذا مبدأ وعقيدة مُترسخة في وجدانه، فيلجأ إلى أدوات اللغة بصورة

مباشرة وغير مباشرة؛ لإيصال أفكاره وآراءه للمخاطبين، فيتمظهر هذا التمرد والرفض بتمظهرات مختلفة تتجلى في نتاجه الأدبي.

المبحث الأوّل

أوّلًا- التمرد المصطلح والمفهوم.

- **مفهوم التمرّد.**

لغة: تَمَرَّدَ: (فعل)، تمرّد على يتمرّد، تَمَرُّداً، فهو مُتَمرِّد، والمفعول مُتمرَّدٌ عليه. تَمَرَّدَ على أهله: عَصاهُم وتَجاوزَ طاعتهُم، تَمَرَّدَ الجُندُ في المُعَسكَر على أوامِرِ الضُّبّاط: أعلَنُوا العِصيان والثورَة[1].

اصطلاحا: هي حالة من حالات الخروج عن الشرعية من بعض الفئات أو سكان منطقة من المناطق وهو بمثابة تحدٍ سافر للسلطة بالإضراب والمظاهرات والامتناع عن تنفيذ القوانين واللجوء لمقاومة السلطات بشكلٍ جماعي[2].

إن أوسع مدى من مدلوله اللغوي، فهو يشمل جميع نواحي الحياة فنجده عند عدد كثير من المفكرين يعني ثورة على الوضع الإنساني، ويُعرَّف على أنَّه كذلك " من النوع الذي يمثل عصيانًا أو انتقاضًا نادرًا يسعى لتغيير النظام بكامله، بقدر ما يهدف أيضًا إلى الضرب على مواضع معينة، داخل النظام الراسخ للحكم، أو إلى إعادة تنظيم الحكم، ليعالج اختلالات بعينها، أو لتغيير حالات محدودة"[3].

ثانيًا- التمرّد في الفكر الفلسفيّ

كان فلاسفة اليونان الأولون علماء في الطبيعة، يضعون فروضًا لتُفهم تصرفات

(١) ينظر: قاموس المعاني على الموقع الإلكتروني http://www.almaany.com

(٢) ينظر: معجم مصطلحات عصر العولمة: اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، كتب عربية للنشر والتوزيع الإلكتروني:٣٢٢.

(٣) الثورة والتمرد والمقاومة، قوة الحكاية: أريك سليبين، تر: اسامة الغزولي، دار الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ط٣، ٢٠١٢: ٣٨.

الطبيعة وسنّة الكون، وبدوءا يبحثون فيما يتعلّق بحياتهم العملية فقادهم ذلك الى الرغبة في معرفة الطبيعة نفسها، فكان أهم ما أهتمت بهِ تلك الفلسفة مسائل الطبيعة والفلك والجغرافية، ثمّ بعدها تحوّل البحث عند اليونان تدريجيًا الى الإنسان نفسهِ فكانت أعمالهِ موضع البحث وأغفلوا البحث في العلم الطبيعي واتجهت أبحاثهم نحو قوى الإنسان الباطنة، فبحثوا في القوّة المفكّرة والقوة المريدة وطبيعة عمل هاتين القوتين وكيفية نشأتهما[1].

وعليه فقد حوّل (السوفسطائيون) أنظارهم الى الإنسان ذاتهِ وأصبحت الفلسفة على أيديهم تنظر الى الإنسان ذاته، بحيث أصبح هذا الإنسان ذاتهِ محور اهتماماتهم بالفعل. إذ ردّ (السفسطائيون) الأشياء كلها الى الإنسان، وهذا الأخير في نظرهم هو الفرد وحدهُ، كما إنهُ يقبل ويرفض ويتأثر ويؤثر ويشك وينكر ويحكم ويتوقف عن الحكم، إنهُ حُر بكل ما في الكلمة من معنى إن تطرقهم الى مثل هذهِ المواضيع اهّلهم لريادة النزعة الإنسانية وهذا مؤشر لبداية النزعة الذاتية في الفلسفة [2].

فقد قال (بروتوجوراس) إن الإنسان هو المقياس الوحيد الذي تقاس بهِ جميع الأشياء". إن هذهِ الرؤية الجديدة للإنسان تكشف عن روح التحليل والنقد وكذلك عن الجرأة في التغير التي طالت العقيدة والقيم والأخلاق والسياسة مؤيدة بذلك الروح الديمقراطية[3] التي سادت بلاد اليونان وأصبح كل مواطن يعتمد على عقلهِ وتفكيرهِ وانسجامه مع روح الديمقراطية والحرية[4] بمعنى إن الحركة (السفسطائية) لم تولد من فراغ وإنما ولدت بسبب التحولات التي تقتضيها روح العصر والمتمثلة

(١) ينظر: مباديء الفلسفة: رابوبرت، أ.س، تر: احمد أمين، ط٧، مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر، القاهرة: ١٩٦٥:٩٧-١٠٠.

(٢) ينظر: السفسطائية بين الوجودية والبرغماتية: فضل الله، هادي،، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت:٢٠٠٨ :٥٨-٦٠

(٣) ينظر: النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة: الحيدري، إبراهيم، ط١، دار الساقي، بيروت: ٢٠١٢:٣٠.

(٤) ينظر: السفسطائية بين الوجودية والبرغماتية، مصدر سابق:٦١.

باختفاء السلطة الأرستقراطية واعتماد سلطة العقل فضلًا عن تميزها بروح الاستقلالية والفردية وسيادة الديمقراطية بدلًا عن النظام التقليدي القديم، فضلًا عن سيادة قيم الذاتية المطلقة الى جانب التقدّم في العلم والفلسفة والمتمثّل (بانهيار الدين) في تلك الفترة[1].

ثالثًا- التمرد في الشعر العباسي

كانت الدولة العباسية واسعة الارجاء، وكانت تتشكل من عناصر مختلفة وطبقات متباينة، فهناك طبقات مترفة غنية تتمتع باللهو والمجون، في حين أن هناك طبقات شعبية يتقاسمها الفقر والحرمان مما ضاعف من نقمتها واستيائها، وقد كانت "الطبقات البائسة في العصر العباسي الاول أكثر طبقاته عددا، وكانت تكدح وتشقى... لينعم الخلفاء والوزراء وعلية القوم وكبار التجار والإقطاعيون بالحياة الرغدة والعيش الناعم، غير مفكرين في جوع جائع ولا في عري عارٍ، بينما تتجرع الطبقة الفقيرة التعاسة الآم ثقالا وأهوالا طوالا[2].

ومن الطبيعي أن يتأثر الشعراء بهذا الواقع؛ فالصلة بين الشاعر وعصره وثيقة، فهو يعي قضايا مجتمعه ومشكلاته فالتمرد جزء من الواقع العباسي ووجه من وجوه قيمة الانسان فهو، ويمكن أن نلخص هذه المسألة.

المبحث الثاني

مظاهر التمرد

أوّلًا- التمرّد السياسي.

في شعر دعبل بنية ثابتة برغم تعدد تجلياتها، هي بنية التمرد لكلِّ ما هو سائد قامع مهيمن، فقد سلك الشاعر طريقًا شائكًا محفوفًا بالمخاطر لاعتماده التمرد

(١) ينظر: النظرية النقدية عند هربرتماكيوز: حسن، حسن محمد، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت: ١٩٩٣:١٩-٢٠.

(٢) ينظر: الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور: شوقي ضيف، دار المعارف، بيروت، د.ط، د.ت: ٨٨.

منهجًا، متحديًا به مهابة السلطات المختلفة، فقد جابه - بوتائر متصاعدة - السلطة الحاكمة آنذاك بدأ من البيئة الاجتماعية و انتهاء بسلطة الحاكم على ما تمتلك من أسباب المنعة وأسلحة القهر.

إنَّ عرض الشاعر طريق المآسي لآل البيت في العصرين الاموي والعباسي ونظرا لما كان في عصر دعبل يطغى بالفوضى والاضطراب والصراع والمنازعات من الناحية السياسية للاستيلاء على الخلافة، وبالظلم والجور والاستبداد على محبي أهل البيت عليهم السلام ، وما كان لدعبل إزاء هذه الأمور إلّا أن يلعب دوره الرسالي في معارضة النظام السياسي الفاسد، فنرى أنه أحس أنّ السخرية سلاح تتمتع بميزة هامة وهى سرعة انتشارها بين طبقات المجتمع المختلفة، فلذلك جنح إلى طابع ساخر حتى يؤثر شعره في المتلقّين وينتشر بسرعة بالغة في الآفاق، كان تشيع دعبل الخزاعي وإيمانه بآل البيت عليهم السلام أهم البواعث باعتقادنا، إذ حمله على المعارضة بشكلٍ لاذع، ومن جراء ذلك قام بالدفاع عن أحقيتهم في تولّي الخلافة وإدارة شؤون المجتمع، لعلّ ما ذكرنا كان من أهم الاسباب التي دفعت الشاعر إلى السخرية السياسية في شعره، و هو الذي جعله ينزع الى التمرد او يميل الى الشر او قطع الطريق ومعايشة الشطار.

كثيرًا ما كان دعبل ينتقل بالهجاء على من مدح وهذا التصرف مظهر من مظاهر شخصية هذا الشاعر المتمرد سريع الانفعال، وهذا التمرد الذي يصحبه الانفعال ربما كان طبعا في الشاعر منذ ولادته[1].

هو شاعر متمرد من طراز خاص استوعب مسؤوليته الاجتماعية و مكانته المتميزة بين شعراء الشيعة فأشار إلى مواضع الفساد والتزلّف مستخدمًا أساليب مختلفة للتعبير، لعلّ الطابع الساخر أهم وأبرز هذه الأساليب في شعره السياسي إذ اتخذ هذا الشاعر الكبير السخرية منهجًا فكريًا ولغويًا أثّرت في مضامينه الشعرية وفي أسلوبه على السواء، كانت هناك أسباب و دوافع شتى حمل الشاعر على أن يعطي

(١) ينظر: الادب في العصر العباسيين: سلام حمد زغلول، منشأة المعارف، الاسكندرية، دط، دت:٥٥٥.

لشعره طابعًا متمرداً.

كان هارون الرشيد أول خليفة من خلفاء بني العباس تمرد منه دعبل، فلما شعر أنّ الرشيد يحاول اجتذاب الشعراء والأدباء لدعم سلطته وتأييد نظريته الوراثية في الخلافة من جانب، وليكون بعيداً عن خصوم الخلافة من جانب آخر، سرعان ما انقلب وكشف حقيقة خطّته بقوله[1]:

وعاشَت (بنو العباسِ) في الدينِ عيشَةً

تحكم فيه ظالم وظَنين

وسموا (رشِيدًا) لَيس فِيهِم لِرشدِهِ

وهذا ذَاك (مأمون) وذاك (أمِين)

فلما قبلت بالرشد منهم رعايةً

رشيدهم غاوٍ لهذا رزايا دون ذلك مجون

وأي سخريةٍ وتمرد أبلغ وأقسى من هذا؟ فالشاعر لا يسخر في الأبيات السابقة من قضية عدم النضج السياسي عند هارون الرشيد فقط، بل تتعدى سخريته إلى الوضع الذي آلت إليه الأمور، فالخليفة ضالٌّ وكذلك ابناه، وهما يخونان الدين الذي هو أمانة بأيديهما كل ذلك أدى إلى تدهور الأمور في بلاده، وأين الشعب من كل ذلك؟ الشعب في حالة ضياع وظلم، فكيف يستطيع هذا الشعب أن يشكو أمره وأن يبلغ طلبه، ولّما يبلغ خليفته ووليّ عهده رشده بعد، فكانت هذه السخرية سلاحًا بيد الشاعر في محاربة الظلم والفساد ومقاومة الجور والطغيان أو على الأقل كانت تلفت الحكام إلى مثل هذه الأوضاع.

يريد الشاعر أن يحطّم هيبة الخلافة العباسية ويقرا بالعبث والفسق والانحلال،

(١) ديوان دعبل الخزاعي، شرحه: حسن حمد، دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت، ١٩٩٤ : ٢٥١.

ويحيل خلافة بني العباس التي زعموا أنها جاءت لنصرة الدين خلافةً كتابها آلات اللهو واللعب يقول في ذلك[1]:

يـــا معشـــر الأجنـــادِ لا تقْنطـــوا	وأرضـــوا بِمـــا كـــانَ ولا تســـخطوا
فَســـــوف تعطَـــــونَ حنينِيـــــةً	يلْتـــــذُّها الأمـــــرد والأشمـــــط
والمعبـــــــدِيات لِقـــــــوادِكم	لا تـــــدخل الكـــــيس ولاتـــــربط
وهكـــــذا يـــــرزق أصـــــحابه	خليفَـــــة مصـــــحفه الـــــبربط
قَـــد خـــتم الصـــك بِـــأرزاقِكم	وصـــحح العـــزم فَلَـــم تغمِطـــوا

ركز الشاعر في الأبيات السابقة على المفارقة البارزة، و" ما من شك في أن للصورة الفنية الساخرة في شعر دعبل قيمة وهدفًا فلم تكن حشوًا ولا هزلًا خالصاً، بل كانت تساعد على تجديد النشاط وتوليد الشعور السليم و إزالة الانقباض و تجديد الراحة وتزيل التوتر والانقباض وتشرح الصدور وتقوم الأخلاق، تحافظ على التقاليد وأوضاع المجتمع وتصحيح الاعوجاج وتربي ملكة النقد وتوقظ التنبه إلى الأخطاء.

من المبادئ التي آمنت بها الشيعة التمرد على الظلم ومقارعة الظالمين، فقد انطلق دعبل من هذا المبدأ إلى مقارعة الظلم، و كثيرًا ما نراه يستخدم في سخريته السياسية التهديد كأسلوب لمواجهة السلطة العباسية، فحدث هذا الموقف بكثرة في وقوفه أمام المأمون، غير أنّ بعض الباحثين حاولوا التقليل من أهمية مواقف دعبل السياسية إبان خلافته ووصفوه بالمبالغة في العفو، ذكرت المصادر التاريخية أن المأمون لما صار خليفةً، أمر بخلع السواد شعار العباسيين ولبس الخضرة شعار العلويين إرضاءً لهم، غير أنّ تطور الظروف في بغداد سرعان ما جعله يتراجع عن مواقفه إزاء الشيعة فتغيرت علاقته بالعلويين بتمزيق الخضرة شعار العلويين، فكان طبيعيًا أن يتغير دعبل ويتخذ موقفًا مخالفًا لما كان من قبل، لذلك نراه يتفجر غضبًا ويصب

(١) الديوان: ١٧٥-١٧٦.

حمم غضبه على المأمون قائلاً[1]:

أيسومني المأمون خطة عاجزٍ ... أو ما رأى بأمسِ رأس محمدِ

نوفي على هام الخلائف مثلما ... توفي الجبال على رؤوس القرددِ

وفي هذه الأبيات تتجلّى ثورة الشعر لدى دعبل في أسلوب كمي ساخر يفضح حكم المأمون الذي لم يحقّق للشعب أي منجزٍ يذكر، بل كان أداة هدم وخراب، إلّا أنّ الحساب قادم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، وهو بعد ذكر الأبيات السابقة التي تشبه مقدمةً تمهد الأرضية للتطرق إلى الموضوع الرئيسي ينشد أبياتًا يدرس فيها العوامل التي ساعدت إلى تولّيه الخلافة، فيشتد غضبه فيقول مهدداً[2]:

إني من القوم الذين سيوفهم ... قتلت اخاك وشرفتك بمقعدِ

رفعوا محلك بعد طول خمولةً ... واستنقذوك من الحضيض الاوهدِ

ونلاحظ بوضوح فيما سبق أنّ الشاعر استخدم لغةً ساخرة في هجائه السياسي ضد المأمون كما أنه قرنه بالتهديد والتهكم اللّذين يتلازمان مع الهجاء، و يبدو أنّ هذه الميزة تختص بدعبل الخزاعي، فكم من شعراء عاصروه وشهدوا ما شهده الشاعر من الظلم والطغيان والانحراف، ولكنهم ظلّوا صامتين لم ينبسوا ببنت شفة إما خوفًا وإما اكتسابًا للجاه والمقام، لم يكن الشاعر أمام المأمون مكتوف اليد، وإنما أعلن بلغة مدوية أنّ هذه الأوضاع لن تستمر فلذلك يحذر الخليفة من أن يتمادى في غيه فيقول[3]:

إنّ التراب مسّهدٌ لطّلابها ... فكفف لعابك عن لعاب الاسودِ

لا تحسبن جهلي كحلم إبي فما ... حلم المشايخ مثل جهل الامردِ

(١) الديوان: ١٢٢.

(٢) الديوان: ١٢٣.

(٣) الديوان: ١٢٣.

من الأساليب الرائعة التي استخدمها دعبل في تمرده السياسي، اقترانها بالصور الاستدلالية، وإن لم يبلغ في قدرته وعمقه الدرجة التي عرفناها عند الكميت الأسدي شاعر الشيعة في العصر الأموي، هذا لا يعني أنّ الشاعر لم يستطع أن يرسم صورةً منطقية، بل السبب يعود إلى أنّ باب الهجاء أضيق قلّما يحتاج إلى الاستدلال المنطقي، وعلى الرغم من ذلك حاول دعبل أن يأتي أحيانًا بأدلّة منطقية وإن وقف عند حدود ضيقة.

يقول في هجاء ابراهيم بن المهدي عم المأمون عندما اختاره أهل بغداد خليفة لهم في حين كان المأمون خليفة لهم في مدينة طوس[1]:

نعر ابن شكلَةَ بالعِراقِ وأهلهِ ... فَهفَا إليهِ كلُّ أطْلَس مائقِ

إنْ كانَ ابراهيم مضطَلِعا بها ... فلْتصلحن مِن بعدِهِ لمخارِقِ

ولْتصلحن مِن بعدِ ذَلك لِزلْزلٍ ... ولْتصلحن مِن بعدِهِ لِلْمارِقِ

أنى يكون ولَيس ذَاك بِكائِنٍ ... يرِث الخِلافَةَ فَاسِق عن فَاسِقِ

ويقول أيضًا[2]:

اتيت ابن عمران في حاجةٍ ... هوينة الخطب فالتاثها

تظل جيادي على بابهِ ... تروث وتأكل أرواثها

غوارث تشكو الى الخلا ... أطال ابن عمران إغراثها

يرى الشاعر أنّ ابن عمران إنسان يريد كلَّ شئٍ لمصلحته، إذا كان شبعًا لا يتذكر أحدًا ولكنه إذا أصيب بمكروه يتوقع مساعدةً من الآخرين وهو في ذروة البخل لا يبالي بمن أصبح جائعًا إذ بلغ بخله إلى حد يشكو الحيوان منه وتضطر الجياد أن تأكل روثها، فما بال الإنسان الذي يقصده في أمرٍ ما؟ لن يجيب ابن عمران إلى طلبه بلا

(١) الديوان: ١٩٨.

(٢) الديوان:٥١

ريب. فصاغ دعبل سخريته في شكل قصة، ومهد لها بالحديث عن الحاجة والجياد والروث والخلا والشكوى وبالغ في عرضها، واستخدم بعض عناصر فن القصة في شعره مثل سرد الأحداث والشخصيات وترتيب المشاهد المتتالية بحيث يشكل صورة تدلّ على قدرة الشاعر في إضفاء طابع قصصي على هجوه كما أنها تدلّ على حساسية فنية مرهفة لديه، وقد نجح الشاعر في تحويل الصور الجزئية إلى لوحات كبرى ما أنه نجح في خلق حركة داخلية بأسلوب سلس، وألفاظ بسيطة، وربما كانت هذه إحدى سمات السخرية عند الشاعر.

دعبل استخدم شعره كوسيلة للتعبير عن قضايا اجتماعية وسياسية ودينية. لقد كان يتمرد على الزيف والفساد الذي رآه في مجتمعه، إذ كان يشير بشكل صريح إلى الفساد في السلطة والمآسي التي يعاني منها الناس. شعره كان يعكس وعيًا حادًا بالواقع المأساوي الذي يعيشه.

إنّ تمرد الشاعر السياسي تكشف للشعب الحقائق والأحداث بواقعية عميقة، وتجعل شعره نموذجًا من مظاهر المقاومة والتمرد على الجور والمفاسد السياسية والاجتماعية، ومن هنا تأتي أهمية شعره وتفرده في الشعر العربي.

ثانيًا- التمرد الاجتماعي.

يعرف "نزيه أبو نضال" التمرد الاجتماعي على أنه تضافر لمجموعة من الجهود ليتحقق، فالتمرد هو محاولة فردية لتغير الواقع الاجتماعي غير أن هذه المحاولة، وبسبب فرديتها محكوم عليها بالفشل، ذلك أن تغير الواقع يحتاج الى ثورة اجتماعية أو الى مدى تاريخي"[1].

من صور تمرد دعبل الخزاعي الاخرى في شعره التمرد الاجتماعي، فقد لجأ الشاعر إليه كطريقة أخرى لبيان ظلم الحاكم و سوء إدارته في رعيته، كانتشار الفساد

(١) تمرد الانثى، رواية المرأة العربية: نزيه أبو نضال، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت – عمان، ط١، ٢٠٠٤: ٢٥.

و نوادي الطرب و القمار و شيوع الصفات الذميمة مثل البخل و الجبن نتيجة لسوء الادارة و فساد الحاكمين.

يقول دعبل[1]:

إذَا رأَيـت بنـي وهـب بِمنزِلـةٍ ... لَـم تـدرِ أَيهـم الأنثـى مِـن الـذَّكرِ

قَمِـيص أنثَـاهم ينقَـد مِـن قبـلِ ... وقميص ذكرانـهِم تنقَـد مِـن دبـرِ

محنُكـونَ عـنِ الفَحشـاءِ فِـي صِـغرٍ ... محنكـونَ عـنِ الفَحشـاءِ فِـي كـبر

محنُكـونَ ولَـم تقْـطَع تمـائِمهم ... مـع الفَواطـمِ والـدايات بِـالكبر

فمن مظاهر التفسخ الاجتماعي و الفساد انتشار المخنثين، فالثراء الفاحش عند حاشية الخليفة من الوزراء و القواد جعل في قصورهم الجواري و المخنثين من الترك و الروم، إن ابتعاد المجتمع عن الدين جعله مجتمعا متهتكا و لهم في حكامهم قدوة حسنة، فالناس على دين ملوكهم.

كما أنه ذكر صفة البخل و شيوعها في المجتمع، و هي اشارة غير مباشرة من الشاعر على معاناة الناس في عيشهم بسبب فساد الحكام، فهم يعانون ضنك العيش مما الجأهم إلى البخل و الحرص على المال.

يقول في جماعة استضافوه فلم يطعموه سوى النوم[2]:

هَنَـاكم أَنكُـم قـومٌ كـرامٌ ... وأنّ النـومَ بيـنكم طَعَـامُ

أتـاكم زائـرٌ فـأجَعتُمُوهُ ... فَلَمـا نـامَ أشـبَعَهُ المَنـامُ

ومن جهة أخرى يذكر نقيض البخل و هو الشره و الاسراف في الطَعام ولكن ليس من الناس بل من حاشية الخليفة و وزرائه، فهذا أحد وزراء الخليفة قد أنهك ميزانية الدولة بما يصرف من أموال على أكله و شربه. فينقده بصورة ساخرة

(١) الديوان: ١٢٢.

(٢) الديوان: ١٢٤

ويتهكم. يقول[1]:

شَـــكَرنا الخَليفـــةَ إجـــراءَهُ ... علـــى أبـــن أَبي خالـــدٍ نُزْلـــهُ
فكـــفَّ أذاهُ عـــن المُســـلمينَ ... وصَـــيَّرَ في بَيتِـــهِ أَكْلـــهُ
وقَـــدْ كـــانَ يُقِـــيمُ أَشـــغالَهُ ... فَصَّـــيرَ في نَفسِـــهِ شُـــغْلَهُ

ثالثًا- التمرّد الفنّي.

دعبل الخزاعي اتبع أسلوبًا شعريًا مختلفًا عن باقي الشعراء في عصره، حيث استخدم لغة بسيطة ومباشرة، بعيدة عن التعقيد والتزويق، مما جعله يبرز كشاعر شعبي. كما قام بتوظيف الكثير من الصور البلاغية والأساليب الشعرية لتعزيز رسالته. وقد تمظهرت صور هذا التمرد الفني في مظاهر مختلفة منها:-

- **التمرد البنائي**

خرج دعبل الخزاعي عن الطريقة المألوفة في بناء الشعر عند الكثير من الشعراء، وكان في زمرة الشعراء المجددين الذين دعوا غلى الخروج عن البناء التقليدي في القصيدة(عمود الشعر)، وربما ذلك كان تاثرا بمعلمه مسلم بن الوليد و الشاعر ابو نواس و توافقا مع نزعته المتمردة في الشعر.

حاول دعبل الخزاعي ان يخرج عن المألوف في شكل القصيدة العمودي و يحطم عمود الشعر العربي وذلك في قوله[2]:

يصـــــافح المـــــوت بوجـــــه دامِ
حـــرّ رقيـــقٍ واضـــحٍ بـــــسّامِ
يســـل مـــن فكيّـــه كالحـــسامِ
صـــفيحةً تلعـــب بالكـــــلامِ

(١) الديوان:١١٠

(٢): الديوان: ٢٤٥-٢٤٦.

وقوله أيضاً[1]:

إن (أبـــا ســـعدٍ) علـــى جونـــهِ
ورقّـــةٍ في عقلـــــــــه ودينـــهِ
يبتـــرك الدهـــــــر علـى جبينـــهِ
لحيتـــه تنســـــاب في تســـعينهِ
ولا يـــزال مـــن نـــــــدى يمنيـــه
يـــزرع قثّـــا جـــــــاره في تينـــه

كما نجد ذلك التمرد و الخروج في كثير من القصائد التي بدأها بالخمريات أو الغزل، فابتعد عن ذكر الاطلال إلا في قصائد قليلة معرجا فيها إلى الطلل الذي يميل إليه و يعتقد بذكره و يهواه قلبه و هو طلل ديار آل البيت.

وربما يعود سبب ذلك إلى حياة الخوف و المطاردة التي كان يعيشها الشاعر، فالعلاقة بينه و بين السلطة لم تكن متوافقة و لم يسدها الهدوء و السكينة، بل على العكس فقد كانت عواصف الهجاء و القطيعة تهب بين فترة و اخرى بينهما. لذا فالشاعر كان قلقا غير مستقر التفكير و قد ظهر تأثير ذلك على قصائده التي كانت ولاداتها رهينة المواقف اللحظية و الاحداث السريعة التي تتغير بين يوم و ليلة فلا تعطي الوقت الكافي للشاعر للإعداد و التحضير و التنميق لقصائده. فنرى الارتجال و سرعة البديهة السمة الغالبة على شعر الخزاعي، فهو يهجم على غرضه مباشرة بلا مقدمات أو تمهيدات.

من ذلك قوله في مدح الطاهر بن الحسين[2]:

أيـــــا ذا اليمـــــنين والـــــدعوتين ومـــــن عنـــــده العـــــرف والنائـــــل

(١) الديوان: ٢٦٩.
(٢) الديوان:١١١

أرضـــــى لمثلـــــي أني مقـــــيم ببابـــــك، مطـــــرح خامـــــل
رضـــيت مـــن الـــود والعائـــدات ومـــن كـــل مـــا أمَّـــل الأمـــل
بتســـليمة بـــين خمـــس وســـت إذا ضـــمك المجلـــس الحـــافل

• التمرد الموسيقي

تتجسد مظاهر هذا التمرد في شعر دعبل بالتزامه ببحور معينة اكثر من غيرها في شعره، فهو يميل للبحور الطويلة كالكامل و الطويل و اقلاله عن البحور الخفيفة ذات النغم المتسارع كالهزج و الرجز والمجتث.

فمشاعر الحزن التي كانت تغطى على حياته و الرسالة التي اعتمدها في اشعاره وهي نقل و تصوير معاناة أأمته من أهل البيت و الظلم الذي لحق بهم و مذهبه الذي اعتنقه المليء بالأحداث الاليمة التي تركت أرثا من الحزن الذي لا ينتهي، إضافة إلى رفض الشاعر مظاهر الغناء و الملاهي والفجور التي كانت سائدة في مجتمع عصره، تمظهرت كلها في تمرد موسيقي تمثل في اعتماد بحور تستطيع حمل كل هذا الحزن و الرفض لتترجمه إلى كلام في بحور موسيقية و اشعار.

كما أن رفضه لمظاهر المجون والخلاعة و الطرب و الاغاني التي كانت تشيع في ذلك العصر جعله يبتعد عن الاوزان الخفيفة والسريعة حتى لا يعتمدهما المغنون والمغنيات في نوادي الرقص و الغناء.

وفي نظرة سريعة على ديوان الشاعر وجدنا أن غلبة البحور الطويلة على ما انتجه من شعر و قلة استخدامه للبحور السريعة فيه.

فمن مجموع قصائد و ابيات ديوانه البالغ عديدها (٣١١) قصيدة و مقطوعة شعرية نجد أن بحر الطويل قد استحوذ على الحصة الاكبر بينها، فبلغت القصائد والمقطوعات التي كانت على هذا البحر (٦٦). يليه في المرتبة الثانية بحر الطويل (٥٦) ثم البسيط (٥٢) ثم المتقارب (٢٣) وهذه كلها تعد من البحور الطويلة، نجد أنها شكلت نسبة ٧٠٪ من مجموع القصائد والمقطوعات.

أما نسبة البحور السريعة و هي الهزج (٤) و السريع(٢٤) والرجز (١٠) الوافر (٣٢) الخفيف(١٥) المنسرح(١١) الرمل(١٤) فشكلت نسبة ٣٠٪.

كما لاحظ الباحث أن أغلب قصائده الطويلة و المشهورة كانت على بحر الطويل منها القصيدة التي قال فيها[1]:

تجاوبـــــن بالأرنـــان والزفـــرات ... نـــوائح عجـــم اللفـــظ والنطقـــات

يخـبرن بالانفـاس عـن سـر أنفـس ... اســـارى هـــوى مـــاض وآخـــر آت

بكيـت لرســم الـدار مـن عرفـات ... وأذرفـت دمـع العـين بالعبـــرات

وهذا يدل على ميل الشاعر للبحور الطويلة في قصائده والتي تلبي حاجته في التعبير عن الحزن والالم واغراضه في الرثاء والتعبير عن الرفض والتمرد، فهذه البحور تستطيع استيعاب المعاني والمفردات التي يحتاجها الشاعر. كما أنها صورة من صور التمرد على مظاهر الغناء والفجور التي كانت سائدة، فلم يرد الشاعر ان يجاري جو الغناء والطرب وان تجري اشعاره على ألسن المغنيات و المغنين، فهو في حزن و لوعة لما يراه من ظلم و كبت و محاربة لمذهبه وأمته.

الخاتمة:ـ

دعبل بن علي الخزاعي شاعر فحل امتاز شعره بتعبيره الواقع الاجتماعي والسياسي، يمكننا أن نستعرض بعض مظاهر التمرد في شعره:

- تمظهر التمرد في شعر دعبل على أشكال، منها تمرد سياسي انتقد فيه الحكام وجورهم وطريقة حكمهم. تمرد اجتماعي ذكر فيه الاخلاق السيئة من بخل ونفاق وفاحشة التي أصابت المجتمع بسبب الظلم وسوء إدارة الحاكم.
- الاحتجاج على الظلم: يظهر دعبل بوضوح رفضه للظلم الاجتماعي والسياسي، حيث ينتقد الحكام والجور الذي يعاني منه الشعب. يعكس

(١) الديوان: ص٣٨.

شعره قلقه من الفساد وسوء الإدارة.

- التعبير عن الهوية: كان دعبل مهتمًا بإبراز هويته الثقافية، حيث يتناول موضوعات تتعلق بالعرب والتراث، مما يعكس تمرده على محاولات طمس هذه الهوية.
- الانتقاد المباشر: استخدم دعبل أسلوب النقد المباشر في بعض قصائده، حيث يتناول قضايا الفساد والمحسوبية في المجتمع، مما يعبر عن تمرده على الواقع.
- السخرية والتهكم: في بعض الأحيان، يلجأ دعبل إلى السخرية من الأوضاع الراهنة، مما يعكس روح التمرد والمقاومة في شعره.
- تعزيز القيم الأخلاقية: يسعى دعبل من خلال شعره إلى تعزيز القيم والأخلاق، ويرفض التقاليد التي يرى أنها تتعارض مع مبادئ العدالة والحرية.
- تظهر هذه المظاهر تمرد دعبل الأدبي على الأوضاع السياسية والاجتماعية في عصره، مما جعله واحداً من أبرز شعراء المعارضة في التراث العربي.

قائمة المصادر و المراجع

١. الأدب في العصر العباسي: سلام حمد زغلول، منشأة المعارف، الاسكندرية، دط، دت.

٢. تمرد الانثى، رواية المرأة العربية: نزيه أبو نضال، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت – عمان، ط١، ٢٠٠٤.

٣. الثورة والتمرد والمقاومة، قوة الحكاية: أريك سليبين، تر: اسامة الغزولي، دار الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ط٣، ٢٠١٢.

٤. ديوان دعبل الخزاعي،شرحه: حسن حمد، دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت، ١٩٩٤ .

٥. السفسطائية بين الوجودية والبرغماتية: فضل الله، هادي،، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت:٢٠٠٨.

٦. الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور: شوقي ضيف، دار المعارف، بيروت، دط، دت.

٧. قاموس المعاني على الموقع الإلكتروني http://www.almaany.com

٨. مباديء الفلسفة: رابوبرت، أ.س، تر: احمد أمين، ط٧، مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر، القاهرة: ١٩٦٥.

٩. معجم مصطلحات عصر العولمة: اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، كتب عربية للنشر والتوزيع الإلكتروني.

١٠. النظرية النقدية عند هربرت ماكيوز: حسن، حسن محمد، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت: ١٩٩٣.

١١. النقد بين الحداثة وما بعد الحداثة: الحيدري، إبراهيم، ط١، دار الساقي، بيروت: ٢٠١٢.